@ 196 @ وتوعدهم ، ولا يكلف ا نفسا إلا وسعها . واستثنى المستضعفين حقيقة ، ولهذا قالت لهم الملائكة : ! 2 2 ! وهذا استفهام تقرير ، أي : قد تقرر عند كل أحد ، أن أرض ا واسعة . فحيثما كان العبد في محل ، لا يتمكن فيه من إظهار دينه ، فإن له متسعا وفسحة من الأرض ، يتمكن فيها من عبادة ا كما قال تعالى : ! 2 2 ! . قال ا عن هؤلاء الذين لا عذر لهم : ! 2 2 ! وهذا كما تقدم ، فيه ذكر بيان السبب الموجب ، فقد يترتب عليه ، مقتضاه ، مع اجتماع شروطه ، وانتفاء موانعه ، وقد يمنع من ذلك مانع . وفي الآية دليل على أن الهجرة ، من أكبر الواجبات ، وتركها ، من المحرمات ، بل من أكبر الكبائر . وفي الآية دليل على أن كل من توفي ، فقد استكمل واستوفى ، ما قدر له من الرزق ، والأجل ، والعمل ، . وذلك مأخوذ من لفظ (التوفي) فإنه يدل على ذلك . لأنه لو بقي عليه شيء من ذلك ، لم يكن متوفيا . وفيه الإيمان بالملائكة ومدحهم ، لأن ا ساق ذلك الخطاب لهم ، على وجه التقرير والاستحسان منهم ، وموافقته لمحله . ثم استثنى المستضعفين على الحقيقة ، الذين لا قدرة لهم على الهجرة بوجه من الوجوه فقال : ! 2 2 ! . فهؤلاء قال ا فيهم : ! 2 2 ! . و (عسى) ونحوها ، واجب وقوعها من ا تعالى ، بمقتضى كرمه وإحسانه . وفي الترجية بالثواب ، لمن عمل بعض الأعمال فائدة . وهو أنه لا يوفيه حق توفيته ، ولا يعمله على الوجه اللائق الذي ينبغي . بل يكون مقصرا ، فلا يستحق ذلك الثواب . وا أعلم . وفي الآية الكريمة دليل على أن من عجز عن المأمور ، من واجب وغيره ، فإنه معذور ، كما قال تعالى في العاجزين عن الجهاد : ! 2 2 ! . وقال في عموم الأوامر : ! 2 2 ! . وقال النبي صلى ا عليه وسلم : (إذا أمرتكم بأمر ، فأتوا منه ما استطعتم) . ولكن لا يعذر الإنسان إلا إذا بذل جهده ، وانسدت عليه أبواب الحيل لقوله : ! 2 2 ! . وفي الآية تنبيه على أن الدليل في الحج والعمرة ، ونحوهما مما يحتاج إلى سفر من شروط الاستطاعة . ! 22 ! هذا في بيان الحث على الهجرة ، والترغيب ، وبيان ما فيها من المصالح ، فوعد الصادق في وعده ، أن من هاجر في سبيله ، ابتغاء مرضاته ، أنه يجد مراغما في الأرض وسعة ، فالمراغم مشتمل على مصالح الدين والسعة على مصالح الدنيا . وذلك أن كثيرا من الناس يتوهم أن في الهجرة شتاتا بعد الألفة ، وفقرا بعد الغنى ، وذلا بعد العز ، وشدة بعد الرخاء . والأمر ليس كذلك ، فإن المؤمن ، ما دام بين أظهر المشركين ، فدينه في غاية النقص ، لا في العبادات القاصرة عليه ، كالصلاة ونحوها ، ولا في العبادات المتعدية ، كالجهاد بالقول والفعل ، وتوابع ذلك ، لعدم تمكنه من ذلك ، وهو بصدد أن يفتن عن دينه ،

خصوصا ، إن كان مستضعفا . فإذا هاجر في سبيل ا ، تمكن من إقامة دين ا ، وجهاد أعداء ا ، ومراغمتهم . فإن المراغمة اسم جامع لكل ما يحصل به إغاظة لأعداء ا ، من قول وفعل . وكذلك ما يحصل له سعة في رزقه ، وقد وقع كما أخبر ا تعالى . واعتبر ذلك بالصحابة رضي ا عنهم ، فإنهم لما هاجروا في سبيل ا وتركوا ديارهم ، وأولادهم ، وأموالهم ، كمل بذلك إيمانهم ، وحصل لهم من الإيمان التام ، والجهاد العظيم ، والنصر لدين ا ، ما كانوا به أئمة لمن بعدهم . وكذلك حصل لهم ، ما يترتب على ذلك من الفتوحات والغنائم ، ما كانوا به أغنى الناس . وهكذا كل من فعل فعلهم ، يحصل له ما حصل لهم ، إلى يوم القيامة . ثم قال : ! 2 2 ! أي : قاصدا ربه ، ورضاه ، ومحبته لرسوله ، ونصرا لدين ا ، لا لغير ذلك من المقاصد . ! 2 2 ! بقتل أو غيره . ! 2 2 ! أي : فقد حصل له أجر المهاجر ، الذي أدرك مقصوده بضمان ا تعالى . وذلك ، لأنه نوى وجزم ، وحصل منه ابتداء ، وشروع في العمل . فمن رحمة ا به وبأمثاله ، أن أعطاهم أجرهم كاملا ، ولو لم يكملوا العمل وغفر لهم ، ما حصل منهم من التقصير في الهجرة وغيرها . ولهذا ختم هذه الآية بهذين الاسمين الكريمين فقال : ! 2 2 ! يغفر للمؤمنين ، ما اقترفوه من الخطيئات ، خصوصا ، التائبين المنيبين إلى ربهم .